الجزء الرابع المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

محرم الحرام ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول ١٩٨٢ م

نَفْسِيٌّ أَمْ نَفْسَانِيٌّ ؟

الدكتور فخري الدباغ

(عضو المجمع)

أستميح أساتذتي اللغويين عذراً إنْ أقحمت نفسي في مغامرة الحديث والنقاش في موضوع يتعلق بالنسب والنسبة ، وفي إصطلاح محدّد بالذات يهمني لانه من متعلقات ولوازم مهنتي كطبيب نفساني . ولا أدعّي أنني من المتمكنين من قواعد اللغة العربية بل من الطموحين الساعين الى الإلمام بطرف منها يُتيح لي الإبحار والتنقل بأمان وسلامة نسبية لا تثير الغضب أو النقد أو الانتقاص من صحة استخدامها .

ولعل ما شجعني على الخوض في هذا النقاش (والتساؤل) هو أن اللغة ليست مجرد نحو وصرف وقواعد صمّاء صارمة ، بل إن جماليات اللفظ وجرس الوزن وسلاسة التعبير هي أمور وعوامل إضافية وحيوية في إعطاء اللغة فصاحتها واضفاء فنون البلاغة والبيان والبديع عليها . وفي هذا المجال تنطلق القابليات اللغوية للادباء والشعراء والعلماء ، وتتمازج أو تتنافس اجتهاداتهم دون المساس بالاصول والقواعد الأساسية الحيوية والضرورية .

وقد وجدتني أثناء التخصص في موضوع (الطب النفساني) — أو النفسي — وممارسته ، وخلال قراءاتي العربية وكتاباتي فيه أنني أميل الى استعمال اصطلاح ووزن (نفساني) بدل (نفسي) عند الحديث عما يتعلق بعلم النفس وتطبيقاته

وما يطرأ على النفس من تغيرات واحوال مزاجية وسلوكية . لكنني جُوبهت بمن ينصحني باستخدام اصطلاح (نفسي) لانه أصحّ وأقرب الى قواعد النسبة في العربية وأسلم وأقوم لغوياً . وبما أنني أحذر واتجنب مناقشة المختصين . . ، ولان « فوق كل ذي علم عليم » . . ، فقد طاوعت السادة الزملاء والاصدقاء الافاضل . لكنني ما انقطعت عن الفضول اللغوي ، وانسقت وراء الحس الداخلي بدل القاعدة السارية . . ، وحاولت ايجاد الأدلة على أن إصطلاح نفساني أصلح لفظياً وأدق علمياً ولا يمسّ بقواعد النسب . وها انذا أحاول بتواضع – وباذن من الاساتذة اللغويين – أن اناقش الموضوع لما فيه من رياضة فكرية وفائدة علمية – لغوية في اختيار المصطلح العلمي المناسب .

قواعد النسب وأغراضه :

في كتب اللغة الشهيرة والكتب المنهجية إيضاحات عن كيفية صياغة النسبة . والقاعدة البسيطة الأولى هي : إضافة الياء المشدّدة لآخر الكلمة وكسر ما قبلها ، مثلما ورد في بيت الشعر القائل :

ياء كياء الكرسي زادوا للنسب
وكل ما تليه كسره وجب

فالنسبة الى عراق هي (عراقيّ) والى نفس (نفسي) والى حرفة (حرفي) . أما ما خالف ذلك فهو من شواذ النسب يحفظ ولا يقاس عليه ، كما ورد في بيت الشعر (المتمم لقصيدة طويلة) :

وغير ما أسلفته مقرراً على الذي ينقل منه اقتصرا (١)

وقد اعتبر سيبويه باب النسبة من باب « الإضافة » للمشابهة بينهما ، كقولنا: (عمل الغريزة) أو (عمل غريزي) . ويعترض المرحوم مصطفى جواد على ذلك

(١) ابن مالك ، (شرح ابن عقيل) ، ص ٤٩٠ .

استناداً الى ان النسبة لا تطابق الاضافة رغم وجود أوجه شبه بينهما (٢). وسمّى ابن الحاجب النسبة بمعنى الإضافة المعكوسة (٣) .

ودخول ياء النسبة تستدعي تغييراً في بعض الكلمات يتناول أكثره آخر الكلمة من تاء تأنيث أو همزة ممدودة أو حرف علة مثلاً . ويُحدث النسب ثلاث تغييرات أساسية :

أ ــ لفظية ب ــ معنوية ج ــ حكمية .

فالتغيير اللفظي يكون باضافة ياء مشدّدة في الاسم مكسور ما قبلها لتدل على نسبته الى المجرد منها مثل : مصري وشامي وبصري .

والتغيير المعنوي يصير إسماً للمنسوب . والتغيير الحكمي يجعل من الكلمة صفة مشبهة في رفعها الظاهر والمضمر باطراد ، كقولنا (زيد قرشي أبوه ، وأمه مصرية) . ويحذف لغرض إضافة الياء ستة أشياء في آخر الكلمة هي :

١ــ الياء المشدّدة (مثــل شافعيّ = شافعي) .

٢ــ تاء التأنيث (مثل كلمة مكة = مكي) .

٣ــ الألف الخامسة فصاعداً أو الرابعة المتحرك ثاني كلمتها (مثل حباريّ للطائر ، ومصطفى = من أهل الصفوة) .

٤ــ ياء المنقوص الخامسة (مثل المعتــدي) ، أو السادسة (مثل المستعلي والقاضي أو القاضوي) .

٥ و ٦ ــ علامتا التثنية وجمع تصحيح المذكر عَلَمين إذا أعربا (مثل زيدي في النسب الى زيدان وزيدون . وهذا هو القياس السائد في حالات النسبة (٤) .

---

(٢) مصطفى جواد ، (النسبة في العربيــة) ، المعلم الجديــد ، ١٩٤٥ ، ص ٦٨ ــ ٧٠ .

(٣) الحملاوي ، (شذا العرف في فن الصرف) ، ص ١٢٧ .

(٤) المصدر السابق .

الاستثناءات في النسبة :

أما الاستثناءات فكثيرة منها :

أ ــ الاستغناء عن ياء النسب غالباً بصوغ (فاعل) عندما يقصد به صاحب كذا (مثل طاعم وكاسٍ) أي (ذو طعام وكُسوة) .

ب ــ أو بصوغ (فعّال) عندما يقصد به الحِرَفْ (مثل نجار ، وعطار ، وبزاز) .

ج ــ أو بصوغ (فَعِلْ) كطَعِمْ ولَبِنْ (أي صاحب طعام . .) .

د ــ وقد تصاغ نادراً على وزن (مِفعال) كمطار (أي ذو عطر) ، و (مِفْعيل) كفرس مِحْضير (أي ذو حُضر) .

هـ ــ وما خرج عما تقدم ذكره فشاذ ، كقولنا : رقباني (من رقبة) ، وشعراني (من شعر) ، وفوقاني (من فوق) ، وتحتاني (من تحت) بزيادة الألف والنون لعظيم الرقبة ولفوق وتحت ، ومَرْوزي (في مرو) بزيادة الزاي ، وأمَوي (في أمية) بفتح الهمزة في أمية بضمها (٥) .

وتخدم النسبة عدة أغراض وصل بها مصطفى جواد الى أحد عشر : كنسبة إنسان الى موقع أو الى شيْ أو معنى إلى معنى ، أو شيء الى انسان . . الخ ، لكنه لم يحاول خلاف عادته الشهيرة في (قل ولا تقل) أن يتطرق الى شواذ النسب ويخطيْ بعضها . .

صيغة فعلاني :

إن إضافة الألف والنون (ان) قبل ياء النسبة في نهاية الكلمة لاخراج النسبة مسألة مألوفة وغير نادرة في اللغة العربية . . ، وهي قياسية أحياناً وغير قياسية أحياناً أخرى . فمن البديهي ان تكون النسبة في كلمة جثمان هي (جثماني) ، والجثمان يعني (الجسم والشخص) (٦) .

---

(٥) المصدر السابق .

(٦) القاموس المحيط ، ولسان العرب .

كذلك فان النسبة الى بعض الاماكن الجغرافية تكون بصيغة (فعلاني) كما هي الحال في كلمات : رخمان وثرمان وصوان وردمان التي تصبح رخماني وثرماني وصواني وردماني (٧) . والنسبة الى اسم العلم سلمان هي (سلماني) والى رضوان (رضواني) .

أما النسب غير القياسي وحالات جواز استخدام صيغة (فعلاني) رغم إمكانية استخدام صيغة (فعلي) فهي اكثر من ذلك . ولعل خير ما نستهلّ به من أدلة هو القرآن الكريم حيث وردت كلمة (ربانيّون) ثلاث مرات بينما وردت كلمة (ربيون) مرة واحدة (٨) .قال تعالى : « . . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » . وعنوان كتاب سيدي عبدالقادر الجيلاني جاء بعنوان (الفتح الرباني والفيض الرحماني) دار الكاتب العربي ، بيروت .

وقيل عن نسبة بعض الاعلام (السِّماني) و (السِّمناني) و (ابن السِّمناني) و (السهواني) (٩) .

كما وردت كلمات نفسي ونفساني ، وشطّي وشطّاني ، وتحتي وتحتاني ، وبرّي وبرّاني ، وفوقي وفوقاني ، وعقلي وعقلاني ، وجسمي وجسماني ، وروحي وروحاني ، ورقبي ورقباني ، وشعري وشعراني (١٠) . ووردت كلمة نفساني بمعنى نَفُوسٌ ، ونافِسٌ (أي العاين والحاقد) ، وهي منسوبة الى نفسان (١١) .

---

(٧) الأزدي ، (جمهرة اللغة) ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

(٨) الآيات الكريمة : آل عمران (٧٩) ، والمائدة (٤٧ و ٦٦) .

(٩) خيرالدين الزركلي ، (الأعلام..) ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٢ .

(١٠) لسان العرب .

(١١) Lane, Arabic - English Lexicon.

نفسي أم نفساني ؟

إن جواز استخدام اصطلاح (نفساني) لغوياً واضح مما تقدم ، إلاّ ان ما أرمي إليه هو ليس مجرد جواز إستعمال المصطلحين (نفسي) و (نفساني) حيثما وأينما شاء الكاتب والباحث ، بل انني أود ان ابين أفضلية إصطلاح (نفساني) على (نفسي) علمياً أيضاً ، وللأسباب الآتية :

أولاً ــ ان كلمة (نَفْس) تعني اشياء كثيرة ولها مدلولات مختلفة مثل : الروح ، والجرعة ، وعين الشيء ، والعظمة ، والعزة ، والهمة ، والأَنَفَة ، والعيب ، والارادة ، والعقوبة ، والدم ، والجسد ، والعند ، والطويل ، والتفريج ، أي خمسة عشر مدلولاً (١٢) .

واذا قيل (أصابته نَفْسٌ) أي أصابته عين . وفلان نَفُوسٌ ونفساني (١٣) ومن خطبة الامام علي (رض) :

« . . قد وَرَيتُم صدري غيظاً ، وجرعتموني الموت أنفاساً . . » ، أي جرعة جرعة (١٤) .

وفي القرآن الكريم استعمالات بليغة ومختلفة لمداول النفس : كالروح ، وذات الشخص ، ومجمل الشيء . وتوجد ثلاث عشرة آية تتضمن كلمة (نفسي) نذكر منها مثلاً :

« . . قال هي راودتني عن نفسي . . » ــ يوسف : ١٢

و « . . قال ربي إني ظلمت نفسي . . » ــ النمل : ٢٧

و « . . وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرّد من قوارير . قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . . »النمل : ٤٤ .

---

(١٢) تاج العروس .

(١٣) الزمخشري ، (اساس البلاغة) ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

(١٤) الجاحظ ، (البيان والتبيين) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

و « . . قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » — يونس : ٤٩ .

إن الاقتصار على إصطلاح (نفسي) قد يحوّل ذهن القارىء والسامع الى مدلولات مختلفة فيها بعض اللبس والغموض لما في كلمة نفس من مدلولات متعددة . لكن أهم وأخطر مدلول هو الاحتمال الشديد بان تعني كلمة نفسي النسبة الى ذات الشخص بينما يكون المقصود منها ما يتعلق باحوال النفس وعلم النفس.

ثانياً — إن بعض العلماء والاطباء العرب القدامى من المشاهير وذوي المرجع والعمدة (إن لم يكن أغلبهم) قد استعملوا اصطلاح (نفساني) بدل (نفسي) للدلالة على احوال النفس وأمراضها وعلومها وصناعة الطب فيها . فقد استعملها الرازي وابن سينا وحنين ابن اسحق وآل بختيشوع (١٥) . وقد ورد في المقالة الرابعة من كتاب (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق (ص ١٣٣) مثلاً :

« . . وأما العادة فتكون في ستة اشياء : أولها الهواء . . الخ ، والثاني الحركة والسكون . . ، والثالث الغذاء وعدمانه . . . الخ ، والسادس الآلام النفسانية أعني عوارض النفس . وأما النوع فهو القوة . والقوى ثلاثة : النفسانية والحيوانية والطبيعية . فاما القوى النفسانية فقد أخبرنا بانواعها في القول في طبيعة الدماغ » . كذلك استخدم حنين اصطلاح (الروح النفساني)(١٦). كما ورد اصطلاح (الصيدلية الربانية) و (التدبير النفساني) في كتاب (جهار مقالة) للنظامي العروضي السمرقندي (١٧) . وورد في (القاموس المحيط) وفي (قاموس دوزي) و (لين) اصطلاحات : (روح نفساني) و (كلام نفساني) و (حظ نفساني)

---

(١٥) ابو سعيد بن بختيشوع ، (رسالة في الطب والاحداث النفسانية) .
(١٦) حنين بن اسحق ، (العشر مقالات في العين) ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٣ .
(١٧) السمرقندي ، النظامي العروضي (جهار مقالة) ، ص ٧٦ ، ٧٨ .

و (نفساني) (١٨) . فالدفع بكون بعض علماء وفلاسفة العرب لا يجيدون أو يكترثون كثيراً بقواعد اللغة العربية غير مبرر هنا لان الكلمة ليست مترجمة أو أجنبية . ولم تخضع لاجتهادات لغوية ، بل نستدل من كثرة استعمالها بصيغة (فَعْلاني) أنها كانت سائدة ومقبولة مستساغة ومفهومة جيداً في تلك الحقب التاريخية .

ثالثاً : ويميل بعض علماء النفس والتربية العرب المعاصرين استعمال اصطلاح (الطب النفساني) و (العلاج النفساني) و (الطبيب النفساني) بدل النفسي ، مثل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني والدكتور تجاني الماحي ، والاستاذ حامد عبدالقادر . ومن المفيد ذكر ما تقدم به حامد عبدالقادر الاستاذ بكلية دار العلوم وعضو الجمعية الفلسفية المصرية (سابقاً) في كتابه (العلاج النفساني) حول أفضلية صيغة نفساني على نفسي ، إذ يبدو من تلك المقدمة مبلغ حماسه لاستعمال هذه الصيغة ، ربما لنفس الاسباب التي ذكرتها في أول المقال ، إذ يقول :

« . . . وليس لأحد من علماء العربية أن يستنكر كلمة نفساني بحجة أن النسبة الصحيحة هي نفسي كما يقضي به القياس . ولست أزعم أن هذه النسبة جارية على القياس ، ولكنني أقرر أنها سماعية صحيحة مألوفة لها نظائر كبيرة : ألا ترى أنهم يقولون روحاني وجسماني ورباني وصمداني ونوراني ؟ .

ثم إني أفضل في هذا المقام نفساني على نفسي إذ قد يفهم من العلاج المنصّب على النفس مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس ، سواء اكان المعالج هو النفس أو الجسم . وقد يفهم من النفسي أيضاً (الذاتي) ، ويكون الغرض الطريقة التي يتبعها طريقة جثمانية (أي مادية) أم كانت نفسانية أو روحانية مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس بقطع النظر عمن يتولى العلاج . وهذا وهذا الاصطلاح افضل أيضاً من (شفاء النفس) أو (دواء النفس) لأسباب

(١٨) Dozy, Dictionaire Arabes, p. 709.

لا تخفى على الباحث المحقق . فتمشياً مع اسلوب القدماء ودفعاً للبس آثرت هذه التسمية إذ لا يفهم منها إلاّ العلاج بوسائل نفسية بقطع النظر عن المرض ... »(١٩)

فاصطلاح (نفساني) إذن ليس من بدع ومستحدثات العلم المعاصر ، ولا من نتاج الحضارة الحديثة المتهمة باغفال التراث اللغوي .

رابعاً – وختاماً أقول أن إضافة الالف والنون الى بعض الكلمات ذات المدلول العقلي والعلمي يضفي عليها خصيصة تميّزها عن النسبة الاعتيادية . وهكذا أجد في اصطلاحات نفساني وعقلاني وروحاني وجسماني رنيناً وعمقاً تجريدياً يفوق ما توحي به كلمة نفسي وعقلي وروحي وجسمي . ولا أحسب أنني بحاجة الى دفاع اكثر . واستعين بما قاله (أبو عثمان) من أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . . » لأن هذه الكلمات هي فعلاً من كلام العرب وليست دخيلة عليه ، وهو ليس من عُجالات واجتهادات العصر الحديث .

إن لكل اصطلاح وصيغة موقع وبلاغة وموسيقية . واستلطاف الاذن (وهي أذن العقل) له مع عدم مساسه بالقاعدة والاصول يبرر استعماله دون تردد . فانا لا أماحك أو أغالط ، بل أعترف وأويد بان اصطلاح (نفسي) له مواقعه الضرورية أيضاً ، وان اصطلاح (نفساني) مقبول اكثر في المواضع الدالة على الأحداث والامراض والعلاجات والتغيرات التي تطرأ على النفس وتدور حولها أو بواسطتها . .

وأختتم حجتي بما جاء في كتاب مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) نصاً وذلك فيما نقل عن أبي محمد اليزيدي تلميذ الخليل بن احمد ان الخليفة العباسي المهدي سأله بحضور الكسائي «كيف نسبوا الى البحرين فقالوا : بحراني أو الى الحصنين فقالوا حصنيني فأجاب اليزيدي : لو قالوا بحري لالتبس فلم يُدْرَ النسبة الى البحرين أم الى البحر فزادوا الفاً ونوناً للفرق بينهما كما قالوا في النسب الى الروح روحاني ...»(٢٠)

---

(١٩) حامد عبدالقادر ، (العلاج النفساني) ، ص ٥ .
(٢٠) الزجاجي (مجالس العلماء) ط ١ ، ص ٢٨٨ ، ١٩٦٣ .